إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة التاسعة – العدد السادس والثلاثون – شتاء ١٣٩٨ش /كانون الأول ٢٠١٩م

صص ٨٣ ـ ٦٣

أساليب "عُبيدٍ الزاكاني"، الساخرة وفق "نظرية تفريغ الكبت" الفرُويْدية

صادق كريم يحيى*

الملخص

قد تمّ في هذا البحث تصنيف كلّ أساليب عبيد الساخرة، فاتّضح أنّ جلّها يستقيم في مجموعتين لا غير من أدبياته الساخرة: الأولى، أدبيات ساخرة تنطوي على مضامين كاشفة للمستور، سياسية خارقة للناموس أو اجتماعية طوباوية؛ وهي كلّها محظورة، مسكوت عنها في أغلب الأحايين، لا بل محرّمة في أحايين أخرى، ولا يمكن المساس بها أو الدنو منها بالمرّة؛ والثانية، مزاحات أو ملاطفات أو فلنقل هزليات أو بالأحرى فكاهات ترتبط بعاهات جسدية ونقائص جسمية. والأولى، تنحصر –كما مرّ– في موضوعات لا يمكن البوح بها أو حتى التلميح إليها. وهي إمّا أن تكون محظورات جنسيّة، وإمّا محرّمات دينية، أو محاذير قانونية أو عُرفية، أو خطوط حمراء سياسية. والثانية، فهي تمثّل موضوعات تتناول عاهات بشرية، ونقائص آدمية، ترتبط بنقص ظاهري مادّي، أو نقص نفسي أخلاقي سلوكي، أو نقص عقلي؛ وهي فكاهات تتطرق إلى نواقص جسدية وعاهات جسميّة، تنطوي في مجاميع من فكاهات ثقافيّة وأخلاقيّة، وتنطوي فيها أحياناً فكاهات تتعلّق بغباوات إنسانية وجهالات بشرية وعنجهيات آدمية. وفي هذه الدراسة، ينهض السعي للبحث عن الدواعي النفسية وحوافزها المحرّكة التي تُمكّن هذه الأدبيات من دغدغة المشاعر أو الإضحاك، ضحكاً دفيناً أليماً كان أو سافراً عذباً؛ وذلك بتسليط الضوء على مختلف مواضيع عُبيد الفكهة: وتنتمي الموضوعات الأولى من فكاهات عبيد إلى المجموعة الأولى من تصنيف فرُويْد في نظريته الكبتية ورؤيتها التفريغية والتحريرية؛ أي الفكاهات التي تسبب الإضحاك عن طريق التنفيس عن المشاعر المكبوتة وتفريغها. وترتبط الموضوعات الثانية منها بمجموعة فرويد الثانية من تصنيفه في تلك النظرية؛ أي التقليد البحت وغير المتقن والمحترف للحركات والقوانين الطبيعيّة والأعراف الاجتماعية، مما يكون مدعاة للإضحاك، وذلك بسبب تحريره لطاقات فكرية أو ذهنية مكنونة، وتحفيزه لإطلاقها وإخراجها للعلن. أمّا المجموعة الثالثة من تصنيف فرويد، فهي لاتتعلّق بموضوع بعينه، بل تتعلّق بإحدى التقنيّات، ألا وهي تقنية المباغتة التي قد أفاد منها عُبيد في صياغة فكاهاته وسخرياته؛ إذ أنّ أية فكاهة، في أي موضوع كانت، إذا ما وظّفت فيها تقنية المباغتة، فهي تثير الضحك، لكونها تدفع بالفكر أو الذهن ليكون على مشارف مفارقة تنفيس عن شعورين مختلفين في آن واحد.

الكلمات الدليلية: عُبَيد، فرُويْد، فكاهات محظورة، فكاهات النقائص، تقنية المباغتة، نظرية الكبت.

*. أستاذ مشارك في مركز البحوث بجامعة سوران، كوردستان، العراق

SadeghKarim65@gmail.com

تاريخ الاستلام: ١٣٩٨/٧/٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٨/١١/٢٠ش

المقدّمة

هناک نظريّات مختلفة حول دواعی کون شیء ما مدعاة للضحک، وعن أسبابه التی تجعل شـــیء ما مُضحِکاً للآخرين، وعن حوافزه التی تجعله قادراً علي الإضحاک. وإذا ما شـــئنا الإجابة علی هذا التساؤل، وهو: لماذا يثير الأدب الساخر أو بالأحري، لماذا تثير الفکاهاتُ الضحکَ؟ والرد علي هذا الاستسفسار، وهو: ما هی الموضوعات التی يوظّفها الأدب الساخر لتکون أکثر إثارة للضحک؟ وعليهما، فإنّ علينا، ومنذ البدء، أن نعرّف مفهوم الضحک، لنعی ماهيته وأسبابه ودواعيه؟

وسنعرّفه فيما يلی لغوياً معجمياً، ثمّ نعالجه فيما بعد اصطلاحياً مفهومياً:

فقد ورد فی الموســـوعة اللغوية لِدِهْخُدا تعريفٌ للضحک، جاء فيه: أنّه تلک الحالة التی تعتری الإنســـان، فتطرء البشاشـــة علي ملامحه أو الفرحة علي محياه، جرّاءَ غبطة أو مرح وفرح أو ســـرور وحبور يعتريـــه، وتتحرّک من خلالهما الشـــفتان والفم. وهی حالة تقترن فی الغالب بصوت خاص يواکب الابتســـامة أو الضحکة، فيعلو فی الثانية وينخفض أو ينعـــدم فی الأولی (ظ: دهخدا، ١٩٦٥، مدخل: خَنْدَه [بِهاءٍ غير ملفوظة]، بتصرّف). کما ورد تعريفه فی لســـان العرب،: «هو انْبِســـاطُ الوَجْهِ و بُدُوُّ الأَســـنانِ من السرُورِ، والتَّبَسُّمُ مبادِئُ الضَّحِکِ.» (ابن منظور، ٢٠٠٤، مادة: ضحک)

ونجد فی کتاب تاريخ طنز وشوخ طبعی [=تاريخ الفکاهة والطبع المزاحی (السخرية والتّفَکُّه وخِفة الظّل والدّم)] بحثاً مفصّلاً نســـبياً حول ماهية الضحک، وســـنذکر منه ما يفی بتبيان مفهومه ودواعی حدوثه، وهو أنّه: لا نعرف علی وجه الدقة ماهية الضحک. وقد ذهب أرســـطو إلی أنّ "الضحک هو نتيجة التعجّب"، ولکن هذا التعريف نفسه يزيد من إبهام الموضوع وغموضه؛ إذ يمکن أن يتمّ التســـاؤل عن أنّه: لماذا يضحک الإنســـان جرّاء حالة التعجّب، ولکنّه لا يبکی بســـببها؟ وقـــد وردت نظريّات عديدة حول ماهيّة الشـــيء المضحِک، إلّا أنّ أياً منها لم يلق الأجماع أو القبول العام له، وإن کان لکلّ منها دوره فی إماطة اللثام عن جزء من حقيقته. وعلی ســـبيل المثال، فقد قال أرسطو أيضاً: "إنّ من مدعاة الضحک هو الخطأ غير الجســـيم الذی لا يبرح بالفرد، أو النقص الذی لا يأتی علي الفرد ولا يحطّمه". وقد ذهب هوبز إلی: "أنّ الضحک يتمخّض عن الشعور

والإحساس المفاجىء بالتفوّق". وقد قال كَانْت: " إنّ من مدعاة الضحك، هى تلك الحالة من الإحساس المفاجئ بالوقوع تحت وطأة ما، فينقبض معها الصدر، ويضيق بها، فتتحوّل فجأةً إلى انفعال وهيجان". كما قال شوبنهاور: "إنّ كلّ تعبير ينطوى علي تناقض، ويفتقد الانسجام، فهو مثير للضحك ودافع إليه". وعليه، يمكن القول استناداً إلى ما ورد آنفاً: إنّ العناصر الرئيسة لإثارة الضحك تتمثل فى الإدراك المفاجىء للتناقض القائم بين حالة الأشياء علي ما هى عليه وبين ما ينبغى أن تكون عليه أو كما نتوقّع أو نفكّر أنّها يجب أن تكون عليه. (نقلاً عن: حلبى، ١٩٩٨: ٥٨-٥٧، بتصرف وتلخيص)

ولِهنرى برِجسون رسالة فى الضّحك بنفس المسمي؛ وفيها يذهب إلى أنّ الضّحك هو صفة بشريّة تماماً، وأنّه نتيجة حدث اجتماعى وحصيلة له. كما يرى أيضاً أنّ الهزل هو سلوك بشرى محض. وهكذا يقول: إن كان هناك فى الطبيعة أو فى سلوك الحيوان شىء يدفعنا إلى الضحك، فسببه مشابهته لسلوك الإنسان. وأنّ الإنسان، بدوره، هو حيوان يَضحَك؛ وفى نفس الوقت، هو أيضاً حيوان يُضحِك. وكذلك يقول: إنّ حيواناً مثل القِرد، إن كانت لديه القدرة على الإضحاك، فالسببُ هو الشبهُ الذى يجعل سلوكه قريباً من سلوك الإنسان. ويري أيضاً أنّ ضحكنا هو دوماً ضحك جماعى.... وأنّ للضحك رابطة خفية فى خلفيته الذهنية المشتركة وفى تفاهمه ومشاركته مع الضاحكين الآخرين الحقيقيين أو الخياليين. وأنّه يجب أن يستجيب الضحك لبعض متطلبات الحياة ومقتضياتها المشتركة. وهكذا يجب أن يكون للضّجك معنى اجتماعى (برجسون، ٢٠٠٠: ٢٤-٢٢)؛ ولذا، يكتسب الضحك علاقة وثيقة للغاية مع الثقافة علي وجه الخصوص. كما يرى برِجسون أنّ أصل فلسفة الضحك وأسّها يكمن فى عدم المرونة والجموح وعدم الانصياع. (المصدر نفسه: ٢٤)

وعليه، فالاستنتاج الذى يمكن أن يستنبط من نظريته، هو أنّ عدمية المرونة تكون: إمّا، أمام قوانين الطبيعة والجبلّة والخلقة، من مثل: القبح الشكلى الملموس أو النقص المادّى (الفيزيائى) المحسوس، والذى يتمّ تقليده بحركات تمثيلية وتصرفات تقليديّة ساخرة؛ وإمّا، إزاء القوانين الاجتماعيّة أو الأعراف الثقافيّة، حيث يضحي التندّر بها أو الضّحك عليها نوعاً من الانتقاد أو التهكّم أو النقد الاجتماعى أو النقد الثقافى؛ وإمّا

أخـيراً، إزاء الماهية الذاتية للطبيعة والجِبِلَّة الآدمية أو البعد الذاتى للمجتمع، فتنعكس فى شكل نقد فلسفى ذاتى ساخر ونفسى ذاهل فى نفس الآن.

أسئلة البحث

وسنسعى فى هذا البحث، أولاً: إلى دراسة وتحليل فكاهات عُبيد، والتعريف بأنواع موضوعاته الفكهة والهزلية، وثانياً: إلى تسـليط الضوء على السبب النفسى للإضحاك وفق نظرية التنفيس أو التفريغ الفرويدية؛ وكلاهما يشـكلان إشكالية البحث التى تدفع إلى هذين السؤالين اللذين لا بُدّ من طرحهما لإماطة اللثام عنها، وهما:

١. ماهـى المجموعات الموضوعية التى يمكن أن تنقسـم إليهـا فكاهات عُبيد وفق رؤيتها الموضوعية؟

٢. كيف يمكن تبيّـين ماهيّة الإضحاك فى فكاهات عُبيد على ضوء نظرية التنفيس لدى فرويد؟

منهج البحث

والمنهج الذى اعتمد فى هذا البحث، هو منهج توصيفى – تحليلى، وهدفه المراد منه، هو تحديد أنواع موضوعات فكاهات عُبيد، ومعرفة الأسـباب النفسـية التى تمكّنها من الإضحاك.

وبنظرة كلية عامة إلى المجموعات النظريّة الخاصة بالضحک والإضحاک، قد لوحظ انضواؤها علي أربع مجموعات، هى:

الأولى: نظرية سوء سمعة الضّحک

وفيهـا، قد تعامل أفلاطون الذى يُعدّ أكثـر النقّاد تأثيراً، مع هذه الظاهرة باعتبارها إثارة تسـلب الإنسـانَ حلمه العقلانى، وتفقده تحكّمه فى نفسـه. كما وعظ أبيكتوس الإنسـانَ، وحذّره مـن مغبة الضحک بصوت تُصم معـه الآذان، وألّا يتمادي فيه، وألّا يكون منفلتاً بشـكل لا يمكنه معه كبحه. وقد تعزّز وتزايد الإنكارُ الفلسفى للضحک فى منتصف القرن السـابع عشر للميلاد، ذاک الإنكار الذى أكّد وأصرّ عليه كلّ من: تامس

هوبز، ورينيه ديكارت. (ماريال، ٢٠١٤م: ١٧-١٤)

الثانية: نظريّة التكبّر والاستعلاء على الآخَر (النرجسية والبُرج عاجية)

وفيها، يكون التفسير البسيط لها، هو أنّ مصدر الضحک لدي الشخص، ما هو فى الحقيقة إلّا شعور ذاک الشخص وإحساسه بالتفوق على الآخرين، وهو بالأحري يعدُّ تبياناً لماضيه، وتفسيراً لما جري فيه. ومن المدافعين المعاصرين عن هذه النظرية، هو: روجر إسكروتن الذى يَعدّ المزاحَ التدميرَ المقترن بالاهتمام الشخصى أو بالشيء المتعلّق بشخص ما. وهو يؤكد علي أنّ الناس إن أرادوا أن لا يكونوا عرضة للضحک ومدعاة له، فإنّ سببه، ودون شک، هو أنّ الضحک، فى حقيقته، يهبط بموضوعه ويتنزّل به فى نظر مَن يبادر للضحک عليه. (المصدر نفسه: ٢٣)

الثالثة: نظرية التنفيس (التفريغ أو الإطلاق والتحرير)

وفيها، يلاحظ أنّ نظرية التنفيس هى تفسير هيدروليکى؛ يعمل الضحک، على أساسه، فى الجهاز العصبى عملَ صمّام الأمان فى مِرجَل البخار. وقد تم إيضاح هذه النظريّة بشكل إجمالى فى مقالة اللورد شافتسبرى تحت عنوان: "بحث فى حريّة الطبع المرح والمزاح" عام ١٧٠٩م. وقد اكتسبت فيما بعد شكلاً علمياً أكثر، وذلک استناداً إلى هذا التصوّر الذى يشير إلى أنّ ما يقوم به الضحک هو اطلاق الطاقة العصبية المكبوتة. (المصدر نفسه: ٢٨) وهنا نؤكد علي أنّ فرويد هو مِن أكبر المنظّرين لنظريّة التنفيس هذه أو بالأحري نظرية الإطلاق والتفريغ هذه.

الرابعة: نظرية التناقض (اللّاانسجامية)

وفيها، تذهب نظرية التناقض هذه إلى أنّ مدعاة الضحک هو إدراک الضاحک لشيء متناقض تناقضاً ينقض أنماطنا الفكريّة، ولا ينسجم وتوقّعاتنا المنتظرَة. وقد تبنّى هذا الاتجاه، كلٌّ مِن: جيمس بيتى، وعمانوئيل كانت، وآرثور شوبنهاور، وسورن كيير كغور، والكثير من الفلاسفة وعلماء النفس المتأخّرين. (المصدر نفسه: ٣٧)

خلفية البحث

وفيما يتعلّق بفكاهات عبيد ومجاميعه الأدبية، يمكننا الإشارة إلى ما يلى من بحوث

ودراسات، ومنها: تاريخ طنز وشوخ طبعي [تاريخ الفكاهة والطبع المزاحى] لعلى أصغر حلبى، وقد طبعته دار نشر البهبهانى. وكذلک: تصحيح وتوضيح آثار عبيد زاكانى [تحقيق و تبيين آثار عبيد الزاكانى] للمؤلف السابق نفسه؛ وهكذا مقدماته التى كتبها لكلّ من مجاميعها، ومن جملتها: شرح وتوضيح رسالة دلگشا [شرح وتوضيح رسالة دلكشا]، والتعريفات، وصد بند [مئة موعظة]، ونوادر الأمثال، وقد نشرت فى دار نشر أساطير. وأيضاً تحقيق وتبيين أخلاق الأشراف للزاكانى، تحقيق المؤلِّف والمحقق السابق نفسه. وهكذا: زاكانى نامه [رسالة الزاكانى]، للمؤلف السابق نفسه، وقد نشرت فى دار نشر زوّار. وأيضاً عبيد الزاكانى للمؤلف نفسه، دار نشر طرح نو. وكلّيات عبيد الزاكانى، تحقيق برويز أتابكى، وقد نشرت فى دار نشر طهران مصوّر. وكلّيات عبيد الزاكانى، تحقيق عباس إقبال آشتيانى، وقد نشرتها دار نشر شهرزاد. وسنجش طنز عبيد زاكانى با راغب اصفهانى، ويافتن آبشخورهاي طنز عبيد وتحليل تطبيقي آنها [الموازنة بين فكاهة عبيد الزاكانى والراغب الأصفهانى، واكتناه مناهل فكاهة عبيد ومصادرها، والدراسة المقارنة بينهماهما]، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة لرودابه شاه حسينى، جامعة العلّامة الطباطبائى، كانون الثانى ٢٠٠٩م.

النظرية الفرويدية

وقبل الإجابة على سؤالى البحث المطروحين آنفاً، آثرنا إلقاء الضوء أولاً على نظرية التنفيس أو التفريغ الفرويدية التى تفيد باختصار: أن المزاج يخلق اللذة أو السرور، وذلک بالقبول العابر لحظّ النفس الحاصل من أمنية خفية أو محظورة؛ ويخفف بدوره فى نفس الوقت من الرعب الذى يُظهره فى العادة إنجازُ أمنية ما، مما يكون مدعاة لإفراغ التشنّج أو التوتر الداخلى من خلال التخفيف من دافع محظور، وذلک بجعله مبتذلاً أو عامياً باعتباره: "نكتة" أو "رسوماً متحرّكة". والتفريغ المفاجىء، يتمخض عادة عن توتر عجيب من جانب، ومحبّب فى نفس الوقت من جانب آخر؛ فى حين أن الجذر غير الواعى لتوتر الفرد، يغيّر ظاهره بشكل ما فى "النكتة" التى هى ليست محزِنة فى العادة. (ايسنيک وزملاؤه، ١٩٧٢م: ٢/٥٨٠)

ويقــوم فرويد بتحليل ثــلاث حالات من الضحك والمــزاح (der witz). وفى كلّ الحالات الثلاث، يقوم الضحك بتفريغ الطاقة العصبيّة، تلك الطاقة العصبية التى تجمّعت لفعل نفســى، ولكنها تصبح زائدة عندما يُترَك ذلك العمل أو الفعل. وفى النوع الأوّل: (der witz)، فإنّ تلك الطاقة الزائدة هى مبدئياً الطاقة المســتخدمة لكبت الأحاسيس والمشــاعر. وفى النوع الثانى، تكون الطاقة المســتخدمة للتفكير. وفــى النوع الثالث، تكون طاقة الإحساس بالإثارات. ويذكر فرويد أنّ فى النوع الأول من الطاقة النفسيّة المحرَّرة، طاقةً كانت لتكبت الإثاراتِ التى يعبَّر عنها الشخص على شكل ضحك إن لم تكن قد فُرِّغت.

وحســب نظرية فرويد، فــإنّ الإثارات التــى تُكبَت أكثر من غيرهــا، هى: الرغبة الجنسية والشعور بالعداء. وبناء على ذلك، فإنّ معظم النُّكَت والأقوال تدل على ظرافة الطبــع حول الرغبة الجنســيّة أو العــداء أو كليهما. ونحن نجتاز رقابتنــا الداخليّة عند النكتة الجنســية أو سماعها ونجسّد (اللوبيدو) أو غريزتنا الجنسيّة. وعلى هذه الشاكلة نجسّــد العداء الذى نكبته عادةً، فى حكاية النكتة أو سماعها والتى نســتحقر فيها الفرد أو الجماعة التى لا نكنّ الحبّ لها. وفى كلتا الحالتين، تتم إضافة الطاقة النفســية التى تستخدم بشكل طبيعى للكبت، ويتم التنفيس عنها فى الضحك. (ماريال، ٢٠١٤م: ٣١)

وعلى هذا الأســاس يمكن القول إن النُّكَت والهزل الجنسى فى آثار عبيد من النوع الأول الذى يفرّغ فى الحقيقة الطاقة المكبوتة للرغبة الجنسية بالشكل المطلوب. كما أن الفكاهــات النقدية والانتقادات اللاذعة فى كل المواضيع تنضوى فى هذا النوع الأول لأنها تحرّر الرغبة المكبوتة أو الغضب نفســه. وفيما يتعلّق بذلك القسم الذى تتحرّر فيه الرغبة الجنسيّة والعداء بشــكل متزامن، تمكن الإشارة إلى الفكاهات والنّكت النقديّة – الجنســيّة. وهى الفكاهات والانتقادات اللاذعة التــى تخلط الملاحظة النقدية بقضيّة جنســيّة ما بهدف نقد وضع ما أو أشــخاص معيّنين كأن يتحدّث عن التسيّب و التهتّك الجنسى لأشخاص ما بلغة الفكاهة والتهكّم علماً أن هؤلاء الأشخاص يمثّلون الأخلاق فى المجتمع.

إن حالة (der witz) الثانية للضحك تتضمّن من وجهة نظر فرويد صورة مشــابهة

مــن تفريغ الطاقة تتجمع فيها الطاقة ولكننا نكتشــف أنها غــير ضروريّة. وهذه الطاقة هنا، طاقة تكرَّس عادة للتفكير. ومن أمثلتها الضحک بســبب السلوکيات العفويّة وغير المتقنة للمهرّج. ويــرى فرويد أن إعادة عرضنا الذهنى لحركات المهرّج العفويّة، بحاجة إلى طاقة أكثر من الطاقة التى نســتهلكها لإعادة اســتعراض حركاتنا الهادئة والسلسة نحن أنفســنا فى القيام بنفس ذلک العمل. وضحكنا على المهرّج هو تفريغ تلک الطاقة الزائدة. (نفس المصدر: ٣٢)

ويمكننــا أن نضع نكات عبيد البســيطة و مطايباته (ملاطفاته) ضمن هذه المجموعة. والســلوكيّات التى تظهــر فى آثاره من أعداء أبطاله (الأشــخاص الجهلة، والقبيحين، والعديمى الأخلاق وغيرهم) تعتبر فى الحقيقة تقليداً أحمق للقوانين الطبيعيّة والاجتماعية وهى تشــبه الحركات العفويّة لذلک المهرّج نفســه الذى يقلّد الحركات الطبيعية الهادئة والسلسة وحينما تكرَّس الطاقة للتفكير فى العثور على وجوه الشبه أو الاختلاف بينها، يحدث الضحک.

ويحلّــل فرويــد حالة (der witz) الثالثــة للضحک بأن النــوع الثالث لايحدث إلّا عندما يكون هناک وضع يقتضى منّا أن نُثار حســب العادات السائدة كى نحرّر شعورنا بالاضطراب. فى حين أن هناک فى تلک الأثناء دوافع تؤثّر فينا وتقمع ذلک الشــعور فى مسار تكوّنه... وتحدث لذّة المزاح على حساب تفريغ الشعور الذى لا يحدث. وتنجم هذه اللذة من نوع من الاقتصاد فى استهلاک الشعور. ومثال فرويد هو قصة لـ (مارک توين) ينفجر فيها الديناميت فجأة وقبل الأوان عندما كان أخوه منشــغلاً بشق الطريق و يقذف به إلى السماء. وحينما سقط الرجل أرضاً كان المسكين بعيداً عن موقع عمله، ففقد نصف أجره اليومى بســبب غيابه عن موقع العمل. وتوضيح فرويد لضحكنا بسبب هذه القصة هو أننا نطلق الطاقة النفســية التى كنا جمعناها للشــعور بالأسف على شقيق توين – الطاقة التى تصبح زائدة عندما نسمع القسم العجيب الأخير – وعلى أثر هذا الفهم، يصبح اســتهلاک الطاقة للشعور بالأسف الذى كان قد أُعِدّ من قبل، عبثياً فنقوم بتفريغــه عن طريق الضحــک. (نفس المصدر: ٣٣) ومع أخذ هــذه المجموعات الثلاث بعين الاعتبار يمكن القول فى النهاية إن الطاقة التى تســتهلک فى الضحک، هى طاقة

الإحساس بالإثارات، وطاقة كبتها أو طاقة التفكير المكدَّس الذى هو بحاجة إلى التفريغ. (نفس المصدر: ٣٤)

والنوع الثالث الذى يتحدّث عنه فرويد فى مجال فكاهات عبيد، لايرتبط بالموضوع بل بإحدى تقنيّات صياغة الفكاهة. أى تقنية المباغتة. و تتبّع الذهن لشىء ماهو عامل الضحک. ثم يواجه فجأة شيئاً آخر فيقف بالتالى بين شعورين مختلفين، فيترک الشعور الأول ويختار الشعور الثانى، وفى الحقيقة فإن استخدمت تقنيّة المباغتة فإنها تنضوى فى المجموعة الثالثة من الضحک فى فكاهات عبيد أيّاً كان موضوعها. وقد تنضوى من الناحية الموضوعيّة فى المجموعتين السابقتين.

فكاهات عبيد المتعلّقة بتفريغ الشعور المكبوت

الضحک – مهما كان – سببُه حدوث حالات طبيعيّة فى الإنسان وعلى هذا الأساس فإن لها أنواعاً تمكن الإشارة إلى أهمها أى الضحک بسبب الفرح، الضحک بسبب الخجل والحياء، الضحک بسبب الغضب والحزن وما إلى ذلک. وفى الحقيقة فإن الفكاهات والمُضحِكات تقسَّم على هذه الشاكلة أيضاً. أى قصة أو شعر أو موقف يخلق الضحک لأنه يُحدِث إحدى هذه الحالات أو يصوّر محيطاً ما يدل على مثل هذه الحالات. وفكاهات عبيد على هذه الشاكلة أيضاً. ولكن ما هى الموضوعات التى تخلق مثل هذه الحالات لدى قارىء آثار عبيد والتى تؤدّى فى النهاية إلى ردة الفعل المتمثلة فى الضحک؟

واستناداً إلى ما طرح من نظرية فرويد، تمكن الإجابة بكلمة واحدة وهى المحظورات. فأبرز تَبِعات فكاهات عبيد تتعلق بالموضوعات الممنوعة و تنضوى فى المجموعة الأولى من نظرية فرويد. ومعظم فكاهات عبيد هى من نوع ردود الفعل على الممنوعات والمحظورات. وهذه الممنوعات إما إنها مفروضة من الخارج والمجتمع على الإنسان أو من داخلة وعقله غير الواعى. وقد يعلم المخاطَب ببعض من هذه المحظورات ويعيه و يضحک على البعض الآخر من دون مقدّمة وتفكير و بشكل لا إرادى. وتلک الطاقة المكبوتة التى يتحدث عنها فرويد تظهر على أثر ممنوعية الموضوع. وعلى هذا يمكن

الاستنباط على أساس نظريّة فرويد أن غالبية فكاهات عبيد هى نوع من ردود الفعل إزاء المحظورات. ولكن نوع ردة الفعل على هذه المحظورات مختلف. أى يتم منع العوامل التى تؤدّى إلى تحوّل موضوع ما إلى موضوع مضحِك حيث يتسبب فى إحداث الضحک من باب الفرح والتعجب والخوف والغضب وحالات الإنسان الأخرى. ومن أهم عوامل الضحک ودوافعه هذه بعضُ القضايا مثل:

المحظورات الجنسيّة

الفكاهة هى ردّة فعل إزاء المحظورات، وإذا استحظرنا نظرية فرويد فيما يتعلّق بكبت الشعور باللذة الممنوعة، ندرک أن التقرّب من المحظورات يقترن بردّة فعل من الضحک مصدره الخوف أو السرور وراحة البال. و تتعلّق أكبر فكاهات عبيد الممنوعة بالمحظورات وخاصة المحظورات الجنسية التى تخلق الفكاهات الجنسيّة. وسنلقى نظرة أخرى على تعريف فرويد للضحک. وبعبارة واحدة فإن حصيلة تعريف فرويد هى كسر حاجز محظورات اللذّة، ففرويد يرى أن البشر ينفرون ويتهرّبون إلى حد كبير من القضايا التى يميلون إليها كثيراً. والفكاهة تزيل هذا التناقض إلى حدّ ما فيحدث الضحک وانبساط الخاطر فى النهاية على أثر فکّ هذه العقدة.

وللمحظورات أنواع أهمها: المحظورات الجنسية، والمحظورات العقيديّة، والمحظورات الثقافية والأخلاقيّة وأخيراً المحظورات القانونية والسياسية. وبالطبع يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن فصل هذه المحظورات عن بعضها البعض بشكل كامل غير ممكن. فربّما حدث حظر قانونى بسبب حظر عقيدى. وتعتبر الفكاهات الجنسية من أهم ردود الفعل إزاء المحظورات الغريزيّة. فالموضوعات الغريزية هى موضوعات ممنوعة لأنها ذات علاقة بالمحرّمات فى لاوعى الإنسان والفكاهة كما مرّ نوعٌ من الرؤية وردود الفعل إزاء المواضيع الممنوعة. والفكاهات حول الجنس والأعضاء الجنسّية، والعلاقات بين المرأة والرجل وغير ذلک هى بالضبط ردود فعل غير إرادية فى مقابل هذه الممنوعات.

فكاهات عبيد الجنسية

تمثل الفكاهات الجنسية واحدة من أبرز الفكاهات ذات التأثير الأكبر فى مؤلّفات عبيد ومن أهم موضوعاتها، العلاقات بين النساء والرجال بنظرة فكاهيّة وتهكمية بطبيعة الحال. وهذا النوع من فكاهات عبيد والذى يعتبر من أهم مواضيع الفكاهات المحظورة، ينضوى فى المجموعة الأولى من تقسيم فرويد وسبب حدوث الضحک ناجم عن هذا الحظر لطرح هذه المجموعة من فكاهات عبيد، ونحن مضطرون إلى عدم التطرق إليها والتهرّب منها و حسبنا هنا أن نحيل القرّاء إلى نموذج مختصر هو: (عبيد، ٢٠٠٤: ١٧٨ و ١٢٣ و ١٤٣).

وقد تكون من الحالات المتعلّقة بالعلاقات بين النساء والرجال من الفكاهات الجنسية والفكاهات النقدية فى ذات الوقت، ومهما كانت المجموعة التى تنتمى إليها، فإنها تنضوى ضمن النوع الأول من نظرية فرويد لأنها تحرّر وتطلق الشعور بالغضب والعداء، ومنها الفكاهات المتعلّقة بالزواج والزوجة والزوج.

والأعمال الأدبية حافلة بقصص الحب الملتهبة والتغزّل بالحبيبة و الشغف بها وعشقها ولكننا لا نجد شيئاً فيما يتعلّق بالإشادة بالشريک (الزوج أو الزوجة) وعشقه إلا فيما ندر. وتنتهى القصص دوماً بتحقيق العاشق والمعشوق لأمنيتهما فى الوصال. ولكن ليس هناک من أحد يخبرنا عن الأحداث بعد الزواج. وقد كتب بايولو كويليو قائلاً:

«فى اللحظة الأخيرة وعندما تدخل المرأة الطائرة، يصل الرجل فجأة وقد سيطر اليأس عليه ويعيدها إلى عالم الحبّ و تحت الأنظار الفرحة للمضيفين و قائد الطائرة وقبل كتابة كلمة (النهاية) على شاشة السينما. ويكتشف المتفرّجون مباشرةً أنهما سيعيشان فرحين وسوية إلى الأبد. و لكن الفيلم لا يخبرنا أبداً ماذا سيحدث بعد ذلک: الزواج، الطبخ، الأولاد، العلاقات العاطفيّة تكون قلقة أكثر من أى وقت مضى، اكتشاف أولى علامات الجفاء، التوافق، اكتشاف العلامة الثانية، اتخاذ القرار، التهديد بالانفصال، عدم الاهتمام بسبب الشعور بالأمن، ظهور العلامة الثالثة، الصمت، التظاهر بعدم العلم، الأوضاع خطيرة للغاية فى هذه المرّة فقد يقول كلّ منهما للآخر : لا أريدک. كلّا، هذه الأشياء لايدور الحديث عنها فى الأفلام، بل تُكتَب على شاشة السينما كلمة (النهاية) قبل بداية الحياة فى العالم الحقيقى.» (كوييليو، ٢٠٠٦م: ٩٨)

إن المرأة هى بمنزلة الوجود بالنسبة إلى الرجل و عندما يتزوّج الرجل من المرأة فإنه يكون بذلک قد استولى على الوجود. والمرأة لها دوماً جانبان للرجل؛ الجانب الحيوى والمتحـرّک الذى يدفع الرجـل إلى الإثارة مع القلق والترقّب و هذه بالضبط هى بداية تحرّک الرجل نحو الزواج من المرأة وكأنه يضع قدمه على أرض مجهولة وغير مكتشـفة. ودخول أرض مجهولة هو دوماً غامض ومخيف و محفوف بالمخاطر وجذّاب ومشـوق فى نفس الوقت. ولكن عندما تكون هذه الأرض معروفة تماماً ومسيطراً عليها فإنها ما مِن شـىء آخر سوى أرض معروفة. الأرض التى يجب على الرجل أن يسعى ويبذل جهده من أجل الحفاظ عليها. وهذا يعنى التوقّف. أى العمل والنشاط المتواصل واليومى. أى بـذر البذور وانتظار الفصول والأيام المتكرّرة. وهذه الوقفة هى فخ من المرأة تأسـر به الرجل.

والجانـب الحيوى والمتحـرّک هو نفس الجانب المثير والغرامـى للمرأة. أى جانب إضمار العشق لها و جانب التوقّف هو جانب كونها شريكاً. والشريک قد يكون بشكل لاإرادى بالنسبة إلى الرجل وللأسباب المذكورة، انعكاساً للحياة اليوميّة والعادة والعمل الرتيب. والعادة تتناقض فى ذاتها مع الإثارة والغموض والأسـرار (الحيويّة والجانب الغرامـى) وفى مثل هذه الحـالات تأتى المرأة -باعتبارها شـريكاً- بالتعب والروتين إلـى ذهن الرجل. ويبلغ الأمر حداً بحيث يواجه الرجل فى ذاته كائناً أوقع به فى فخه بالخـداع على حد زعمه و ورّطه فى العمل والحياة اليومية الرتيبة. ولذلک فإن الرجل فى ذاته يشـعر بالنفور من المرأة فى ذات الوقت الذى يريدها فيه بشـدّة ؛ النفور من الشـخص الذى أسـره بمثل هذا الخداع. وهو يعبّر عن هذا النفور بالجفاء والفتور إزاء الشـريک والزواج من أشياء أخرى مثل العمل وقراءة الصحف وغير ذلک. فيما تتخذ المرأة فى المقابل موقف عدم الانسجام والشكوى والعتاب و لكنها تستلم هى أيضاً فى النهايـة لتقضى حياتها بجفاء فى المقابل والتزوّج من حبّ الأولاد والتعلّق بهم. (شـاه حسينى، ٢٠٠٩م: ٢٠٢)

وهذ الجفاء المتبادل قد يعبّر عن نفسه بين الحين والآخر من خلال المزاح والمواقف الهزليّـة أى حينما يجد اللاوعـى مجالاً للظهور. فكاهات حـول الاختلاف بين الزوجة

والـزوج، نكات حول تورّط الرجل بمصيبة الزواج، مواقف هزليّة تحدث عند مراسـيم الزفاف مع العريس حول توديعه للسعادة والراحة و مواساته من قبل الرجال المتزوّجين ونصيحة العريس للشـباب العزّاب بعدم ارتكاب مثل هـذا الخطأ مثله، كلّ ذلک يدل على هذا الرعب والمشكلة.

ونحـن نرى فى أحـد الأفلام الكوميديّة، أن البطل الأمريكى للقصة منشـغل فى مشـاهدة عرض لخيال المآتة باللغة الفرنسـيّة وكان موضوعه يدور حول رجل وامرأة يتبـادلان الضرب بالعصى. فيطلب من صديقـه أن يترجم له القصة فيقول صديقه إنهما زوج وزوجتـه. فيقول الرجـل الأمريكى: «لقد فهمت ذلک بنفسـى. أخبرنى عن بقيّة القصة!»

كيف هى العلاقات بين الرجل والمرأة فى آثار عبيد؟

المرأة والرجل يبدوان فى آثار عبيد متعطّشان لدم بعضهما البعض؛ والزواج مذموم وأمر غير حميد ؛ ولا نلاحظ أى تعامل عاطفى ؛ وقد قامت العلاقات على أساس العَقد والواجبات ؛ ولا يوجد أحد سـعيد. والضحک الذى يصدر من المتلقّى بعد قراءته لهذه المضامـين، ينضوى تحت المجموعة الأولى من تقسـيم فرويـد. الضحک الذى مصدره تفريغ الشعور بالغضب على أثر الخصام. وسنذكر هنا بعض النماذج:

«رُسِمـت فى قصر بركان حاكم الخنتائيـين ثلاثة صور بين الصور الأخرى: إحداها تمثّل شـخصاً جالسـاً و قد اسـتغرق فى التفكير ؛ والأخرى صورة رجل يضرب رأسه بيـده، و ينتف لحيته باليد الأخرى؛ والآخر يرقص. وقد كتب فوق (الصورة الأولى) أن هذا الشخص يفكّر فى أنه هل يتزوّج أم لا؛ وكتب تحت الثانى أن هذا الرجل طلب يد امـرأة ثم ندم. وكتب تحت الثالث أن هذا الرجـل طلّق امرأته وفرغ من هذه المصيبة!» (عبيد، ٢٠٠٤م: ١٧٣)

«كان لمجد همگر امرأة خلال سفره. ثم إنه كان ذات يوم جالساً فى مجلس. فسارع إليه غلامه راكضاً وقال له: سـّيدى لقد نزلت الخاتـون فى البيت. فقال: ليت الدار هى التى نزلت على الخاتون!» (نفس المصدر: ١٤٣)

«كان مجد الدين يتشـاجر مع زوجته، وكانـت عجوزاً للغاية وقبيحة المنظر، فقالت: إن السـيّد العمدة لايفعل ما تفعله، فلقد كان يصل الليل بالنهار قبلى وقبلك. فقال : لا تكلّفى نفسك ياسيّدتى لقد كان قبلى، ولكنه لم يكن قبلك!» (نفس المصدر: ٩٤)

- المجرّد (الأعزب): الشخص الذى يضحك على ذقن الدنيا.
- الشقى: العمدة.
- الباطل: عمر العمدة.
- الضايع: دهره.
- التلف: ماله.
- البريشان (القلق والمضطرب) : خاطره.
- التلخ (المرّ): عيشه.
- الماتمسرا (بيت المآتم): بيته.
- المعيل: المبتلى.
- ندامته و الافلاس: نتيجة ذلک.
- المذكّر السماعى: الذى يعمل بنصيحة النساء.
- الفرج بعد الشده: لفظ الطلاق ثلاث مرّات.
- القوز بالاى قوز (الحدبة فوق الحدبة): الحماة.
- مخ الحمار: الطعام الذى تقدّمه النساء لأزواجهنّ. (نفس المصدر: ٢٤٠-٢٣٤)

المحرّمات الدينيّة و الفكاهات العقيديّة

الملاحظـة التالية هى الفكاهات العقيديّة. فالمسـائل العقيديّـة والمعتقدات الدينيّة تعـدّ مـن المحرّمات لأنها موضوعات ترتبط بالمقدّسـات وفيها خطـوط حمراء صارمة والطريـق الوحيد للاقتراب من هـذه الخطوط الحمراء يمكن أن يكون ردّ الفعل المتمثّل فى الضحک من باب الغضب والخوف والتعجب وغير ذلک. وعلى سـبيل المثال «ففى أوروبا وفى بعض الكرنفالات نلاحظ قساوسة يتبرّجون بالملابس النسائيّة وهم يحملون كتاب الإنجيل مقلوباً!» (روح الأمينى، ١٩٩٧م: ١٢)

وينضوى هذا النوع من فكاهات عبيد فى المجموعة الأولى من تقسيم فرويد أيضاً. لأن هناك فكاهات على علاقة بالمحرّمات وسبب الضحک هو تفريغ الشعور الناجم عن الرغبة المكبوتة أو الخوف من التقرّب من هذه المحرَّمات. وتوجد فى آثار عبيد فكاهات دينيّة امتزجت هى أيضاً مع المفاهيم الجنسية حيث نتجنّب ذكرها هنا.

ومن الموضوعات العقيديّة الصراع بين الغرائز والفرائض حيث يشبع بطل القصة فى النهاية كلتا الرغبتين من خلال الحيل الشرعيّة أو السلوک المتناقض وتكون نتيجة ذلک سلوكاً مثيراً للضحک. وينضوى الضحک على هذه الفكاهات فى المجموعة الأولى من تقسيم فرويد و الشعور المتحرّر هو شعور العداء لمثل هذا الشخص والغضب. لأن مثل هذا النوع من السلوكيّات يؤدّى إلى خدع عوام الناس و التربّح وهو يستحق النقد. وهذا الضحک هو من باب الغضب ويصدر من الأشخاص الذين يقومون بالعمل الآخر حينما يختلون إلى أنفسهم.

نموذج من عبيد

«كان جحا يسرق أغنام الناس ويتصدّق بلحومها. فسئل: ما معنى هذا؟ فقال: ثواب الصدقة يعادل سرقة الأغنام، و فى أثناء ذلک يكون شحمها و إليتها توفيراً.» (عبيد، ١٣٨٣ش: ٦٤)

المحظورات القانونيّة والتهكّم السياسى

يمكن اعتبار رد الفعل على المحظورات السياسيّة نوعاً من ردود الفعل الاحتجاجيّة. أى الضحک الذى مصدره الغضب. وهو النوع الأول من تقسيم فرويد. أى الضحک على أثر تفريغ الشعور بالعداء والخصام. ومثل رد الفعل هذا شائع كثيراً وخاصة فى البلدان المبتلاة بالدكتاتوريّة. ولأن الأشخاص لايمتلكون المجال للاعتراض والنقد، فإنهم يعبّرون عن غضبهم عن طريق الضحک أو السخرية من رؤساء الحكومات والاستهزاء من أسلوب إدارة البلد. ويمكن أن تعتبر الفكاهات والنكات السياسيّة مقياساً جيّداً إلى حد كبير لمستوى الاستبداد والإرهاب السياسى السائد فى مجتمع ما.

وتتمثّل خصوصيّة الفكاهات السياسيّة فى آثار عبيد فى الغالب فى نقد انعدام العدالة والظلم والجور والتعرض لأرواح الناس ونواميسهم من قبل الطغاة والجبابرة ولا نلاحظ موضوعاً خاصاً حول تغيير نوع الحكم أو تغيير الأسلوب السياسى والتنفيذى. وتتعلق مقوّمات النقد فى الغالب بالسخرية من السلوك الشخصى للحكّام و نسبة بعض الصفات إليهم ممّا يتعلق بالناموس والتعريض بفسادهم الأخلاقى ووضعهم فى ظروف ومواقف قصصية مضحكة.وهذا النوع من الفكاهات السياسيّة (السخرية و نسبة الصفات القبيحة) ما هو إلّا الغضب المكبوت الذى ينضوى فى النوع الأول من تقسيم فرويد.

بعض النماذج:

«ذهب دهقان من أصفهان إلى دار الخواجه بهاء الدين صاحب الديوان (محمّد الجوينى). فقال لسيّد القصر أن يقول للخواجه أن الإله جالس فى الخارج وإنه يريدك فى أمر. فقال للخواجه؛ بشّر بإحضاره. وعندما دخل، سأل: هل أنت الإله؟ فقال : نعم، قال: وكيف؟ قال: لقد كنت قبل هذ االإله القرية، وإله البستان وإله البيت؛ وقد سلبنى نوّابک الدار منّى ظلماً، فبقى الإله وحده!» (نفس المصدر: ١٥)

«كان يحكم فى مازندران رجل اسمه العلاء وكان شديد الظلم، فحدث جفاف ومجاعة. فخرج الناس للاستسقاء. وحينما فرغوا من الصلاة، رفع الإمام يده بالدعاء من على المنبر قائلاً: اللهم ادفع عنّا البلاء والوباء والعلاء!» (نفس المصدر: ٩٠)

«سأل شخص مولانا عضد الدين: فى زمان الخلفاء كان الناس يدّعون الألوهيّة والنبوّة كثيراً ولكنهم لايفعلون ذلک اليوم ؟ فقال: لقد وقع على أهل هذا الزمان من الظلم والجوع بحيث نسوا كل شىء حتى الإله والنبى!» (نفس المصدر: ٨٠)

فكاهات عبيد والمجموعة الثانية من نظرية فرويد (إطلاق الفكر وتفريغه)

المجموعة الأخرى من فكاهات عبيد بعد الفكاهات الممنوعة، فكاهاتُ النقص. و يمكن أن يكون هذا النقص خارجياً ومادياً، مثل النقص فى الأعضاء، والعجز

الجسمى وما إلى ذلک، وقد يكون أخلاقياً ومتعلّقاً بالشخصيّة. مثل السلوكيات القبيحة والمعايب الأخلاقيّة. ويمكن أن يكون عقلياً مثل الجنون أو الحمق والسذاجة والجهل وغير ذلک. وتنضوى هذه المجموعة من فكاهات عبيد عادةً فى المجموعة الثانية من تقسيم فرويد. وهى الفكاهات التى هى تقليد ناقص للعقود الطبيعيّة أو الأخلاقية أو العقليّة. والشخص الجاهل، يكون جهله مضحكاً فى مقابل السلوک العاقل فى مستوى حركات المهرّج التى هى تقليد مَعيب وناقص للحركات العادية والطبيعية. أو النقص فى الأعضاء والمعايب الجسميّة التى تبدو وكأنها أشكال وسوم هزليّة ثابتة فى مقابل الصحة والسلامة حسب القاعدة والطبيعة.

نموذج من النقائص والعيوب الظاهريّة

«كان ليّد قبيح نائب أكثر قبحاً منه. وفى ذات يوم ناول حامل المرآة، المرآةَ للنائب، فنظر فيها وقال: "سبحان الله! ما أكثر التقصير الذى حدث فى خلقنا!"» (نفس المصدر: ٨٥)

«جاءَ رجلٌ أبخرُ الى طبيبٍ يشكو وَجَعَ ضِرْسِهِ. ففَتَحَ الطبيبُ فَمَهُ ففاحَتْ رائِحَةٌ مُنْكَرَةٌ. فقالَ له: ليسَ هذا مِن عملى اذهبْ الى الكنّاسين.» (نفس المصدر: ٤٠)

نموذج من العيوب والنقائص الأخلاقيّة

«يحكى أن ظريفاً رأى الكثير من الدجاج المشوى على المائدة، ولم يأكن يأكل منه لثلاثة أيام متتالية. فقال: إن عمر هذا الدجاج المشوى بعد الموت أكثر من عمره قبل الموت.» (نفس المصدر: ١٣٦)

«حضر الأجلُ كبيراً من الأكابر كان أوحد زمانه فى الثروة و قارون عصره؛ فقطع الأمل بالحياة، فأحضر فلذات كبده الذين كانوا أطفال أسرة الكرم. فقال: يا أولادى! لقد تحمّلت عناء السفر والحضر لأزمان طويلة فى كسب المال وعصرتُ حلقى وضغطت عليه بمخالب قبضة الجوع حتى جمعتُ هذه الدنانير القلائل، فالله الله فى المحافظة عليها، لاتغفلوا عنها، وإن قال لكم شخص إنه رأى أباكم فى المنام وهو يطلب الحلوى

فاحـذروا مـن أن تنخدعوا بمكره فأنـا لم أقل ذلک فالميّت لا يأكل شـيئاً؛ وإن طلبتُ أنا نفسـی ذلک منكم فی المنام و التمسـت منكم هذا الالتماس نفسه، فإن هذا يسمّی أضغاث الأحلام، وهو من عمل الشـيطان، فما لم آكلـه فی حياتی لا أتمنّاه فی مماتی". قال ذلک ثم أسلم الروح إلی خزانة المالک.» (عبيد، ١٩٩٥م: ١٥٧)

وهذه المجموعة من الحكايات الفكاهيّة يمكن أن تكون من ضمن المجموعة الأولی شرط أن لايكون فيها نقد، والضحک فيها من باب تفريغ وإطلاق الشعور بالغضب.

نموذج من النقائص العقلية وفكاهات التهكّم بالجهل

بطل الجهل فی قصص عبيد هو قزوينی عادةً. ورغم أن عبيداً نفسـه كان من أهالی قزوين ولكنه لم يول اهتماماً كبيراً بالقزوينيين فی آثاره.

«يحكی أن قزوينياً كان يعانی من ألم فی ضرسـه فذهب إلی الجرّاح. فقال: أعطنی دينارين من الذهب كی أقلعه. فقال: لا أعطيک سوی دينار. وحينما لم ير بدّاً من الدفع أعطـاه دينارين وقدّم رأسـه للجرّاح وأظهر له الضرس الـذی لم يكن يوجعه. فاقتلعه الجـرّاح. فقـال القزوينی: كنتَ تريد أن تأخذ منّی أكثر ممّا تسـتحق وتأخذ دينارين؟! ولكننی أكثر دهاء وذكاء منک؛ فقد سـخرتُ منک فاقتلعتَ سـناً واحداً من أسـنانی بدينار واحد.» (عبيد، ١٣٨٣ش: ١٢٢)

«أضـاع قزوينـی خاتماً فی البيت، فـكان يبحث عنه فی الزقـاق لأن بيته مظلِم.» (نفس المصدر: ١١٨)

«كان قزوينـی يحتضـر وينازع الموت، فأوصی بأن يطلبوا فی المدينة أقمشـة قديمة وبالية ويتخذوها كفناً له. فقيل له: وما هو الغرض من ذلک؟ قال: كی يظن منكر ونكير حينما يأتيان أننی رجل قديم فلا يكلّفوا أنفسهم فی سؤالی.» (نفس المصدر: ١٥٦)

«يحكی أن قزوينيّاً أضاع حماراً، فكان يدور حول المدينة ويشكر ربّه. فقيل له: لماذا تقدّم الشـكر؟ فقال: لأننی لم أكن قد جلسـت علی الحمار وإلّا لـكان هذا اليوم اليومَ الرابع الذی أضيع فيه.» (نفس المصدر: ٩٧)

فكاهات عبيد والمجموعة الثالثة من نظرية فرويد

المجموعة الثالثة من أنواع الضحک من وجهة نظر فرويد ترتبط فى فكاهات عبيد بتقنيّة المباغتة كما ذكرنا، ولا علاقة لها بموضوع الفكاهة. وفكاهات عبيد يمكن أن تنضوى فى المجموعة الثالثة، مهما كان موضوعها إن كانت تتمتع بتقنيّة المبالغة.

وحينما يجتمع ظرفان أو قضيتان متناقضتان معاً فى بعض الأحيان، فإنهما تصبحان مضحكتين. وإذا ما استدعينا إلى الأذهان رأى فرويد وتقنيّة المباغتة، فإن الضحک يحدث مفقاً لرأيه على أثر التقابل والتنقض بين شعورين، أى إطلاق الشعور الأول و ظهور الشعور الثانى، و الضحک فى هذه الحالة سببه التعجّب فى معظم الأوقات.

والأحداث والموضوعات أو الكلام والأحاديث التى تطرح خلافاً للتوقّعات، مثيرةٌ للضحک. وما هو يتعارض مع العرف والتقاليد، يمكن أن يكون مضحِكاً لأنه يخالف التوقّع. وهذه الظواهر المخالفة للتوقعات يمكن أن تكون – وفق رأى فرويد – تقنية المباغتة ومن النوع الثالث.

نماذج من تقنيّات المباغتة:

«كان شمس الدين مظفّر يقول لتلامذته ذات يوم إن الدراسة يجب أن تكون فى الطفولة؛ فكلّ ما يتعلّمه الطفل لا يمكن أن ينسى أبداً. وأنا الآن أبلغ الخمسين وقد تعلّمت سورة الفاتحة و ماأزال أتذكّرها رغم أننى لم أقرأها أبداً.» (نفس المصدر: ١٥٠)

فالذهن هنا ينتظر سماع الدراسة والقراءة الكثيرة، وهو يتفاجأ بعبارة "لم أقرأ أبداً".

«كان هناک شخص يدّعى الألوهيّة. فاقتادوه إلى الخليفة. فقال له: كان هنا السنة الماضية رجل يدّعى النبوّة، فقتلوه. قال: لقد فعلوا حَسَناً فأنا لم أكن قد بعثتُه.» (نفس المصدر: ٦٣)

فالذهن يتوقّع هنا العقوبة وتهديد المدّعى ولكن جوابه غافله.

«ادّعى شخص النبوّة. فأخذوه إلى الخليفة. فسألوه: ما هى معجزتک؟ فقال:

معجزتی أنی أعلم بکلّ ما یجری فی قلبک؛ والآن یدور فی قلوب الجمیع أننی أکذب.» (نفس المصدر: ۱۲۵)

النتیجة

نقول فی الإجابة علی السؤال الأول الذی طرح فی هذه المقالة إن موضوع فکاهات عبید یقسّم فی مجموعتین هما الفکاهات المحظورة وفکاهات النقائص. والفکاهات المحظورة تتعلّق عادة بالمحرّمات الجنسیة، المحرّمات الدینیة والمحظورات السیاسیة. و یمکن أن تدور فکاهات النقائص حول النقص المادّی والظاهری، أو النقص فی الشخصیّة والأخلاق والسلوک (وهی تشمل أیضاً الفکاهات الثقافیة والاجتماعیة) أو النقص العقلی. وکلّ من هذه الفکاهات یمکن أن یطرح بهدف النقد أو لمجرّد الملاطفة والمزاح. ونقول فی الإجابة علی السؤال الثانی إن الفکاهات الممنوعة تتعلق بالمجموعة الأولی من تقسیم فروید بسبب إطلاق الشعور والإحساس المکبوت سواء کان مصدره الرغبة الجنسیة أم الخوف (الفکاهات الدینیّة) أو الغضب (الفکاهات السیاسیة).

وأما فکاهات النقائص فتنتمی إلی المجموعة الثانیة وهی فی الحقیقة تقلید ناقص للعقود الطبیعیة أو الأخلاقیة أو العقلانیّة. وکل من فکاهات المجموعة الثانیة إن طُرِح بهدف النقد فإنه ینضوی فی المجموعة الأولی من تصنیف فروید.

والمجموعة الثالثة من تصنیف فروید لاعلاقة له بموضوع فکاهات عبید بل تتعلق بإحدی تقنیاته الفکاهیّة الساخرة. تقنیة المباغتة. وکل فکاهة فی أی موضوع إن کانت تتمتع بتقنیة المباغتة، فإنها یمکن أن تکون منتمیة إلی المجموعة الثالثة من تصنیف فروید.

والملاحظة الأخیرة أن هذه الفکاهات لاتنضوی بالضرورة فی طبقة واحدة من تقسیم فروید فقط. فقد تکون هناک فکاهة تنتمی إلی المجموعات الثلاث کلّها. أی إنها تجمع بین کونها تبیّن نقداً ما؛ أو مقیصة أو توظّف تقنیة المبالغة فی نفس الوقت. وبذلک فإنها تعتمد علی نوع الموضوع والهدف من تقدیمه وتقنیّته التطبیقیة.

المصادر والمراجع

ابن منظور، ابوالفضل جمال‌الدين محمدبن‌مكرم. (٢٠٠٤). لسان‌العرب. بيروت: دار ومكتبه الهلال.
برجسون، هنرى لويس. (٢٠٠٠م). الضحک. ترجمة عباس باقرى. طهران: شباويز.
حلبـى، على أصغر. (١٩٩٨م). تاريخ طنز وشـوخ طبعى در ايران وجهان اسـلامى (تاريخ الفكاهة والمزاح فى إيران والعالم الإسلامى). طهران: انتشارات بهبهانى.
دهخدا، على‌اكبر. (١٩٦٥م). لغت نامه. طهران: انتشارات جامعة طهران.
روح‌الأمينـى، محمود. (١٩٩٧م). آيين‌ها وجشـن‌هاى كهن در ايران امروز (الشـعائر والاحتفالات القديمة فى إيران اليوم). طهران: دار نشر آگه.
شاه حسينى، رودابه. (٢٠٠٩م). سنجش طنز عبيد زاكانى با راغب اصفهانى ويافتن آبشخورهاي طنز عبيـد وتحليل تطبيقي آنها (مقارنة فكاهة عبيد الزاكانـى مع الراغب الأصفهانى والعثور على مناهل فكاهة عبيد والتحليل المقارن لها). الأسـتاذ المشـرف: احمد تميم دارى، الأسـاتذة المساعدون: سعيد واعظ وعلى گنجيان خنارى. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، طهران: جامعة العلامة الطباطبائى.
عبيد الزاكانى. (١٩٩٥م). أخلاق الأشراف. تحقيق وتوضيح على اصغر حلبى. طهران: أساطير.
عبيد الزاكانى. (١٣٨٣ش). رسـاله دلگشا، مع رسـالات التعريفات، صد پند ونوادر الأمثال. تحقيق، ترجمة وتوضيح على اصغر حلبى. طهران: انتشارات اساطير.
كوييلو، بايولو. (٢٠٠٦م). إحدى عشرة دقيقة. ترجمة كيومرث بارسای. طهران: انتشارات نى نگار.
ماريال، جان. (١٣٩٣ش). فلسفة المزاح. ترجمة غلامرضا أصفهانى. طهران: ققنوس.
H. J. Eysenick, W. J. Arnold, R. Meili,(1972) Encyclopaedia of Psychology, Fontana/ Collins, London.